مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-013-001-006

رِحْلَةُ السَنَدِ والإِجَازَةِ لِعُلَمَاءِ المغْرِبِ الأَوسَط إِلَى المشْرِقِ الإِسْلامِي خلال القرنين (7- 9هـ/13- 15م).

Middle Maghreb savants' Journey of "Es-sanad" and "Ijaza" to the Islamic East, during 7th- 9th H century (13-15 BC).

اسم ولقب المؤلف المرسل: د. نذير برزاق-Berzag Nadir صص110- 129
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- في التاريخ وسيط- قسم التاريخ- جامعة قسنطينة2- الجزائر.
البريد الإلكتروني: nadir.berzag@univ-constantine2.dz

تاريخ استقبال المقال: 2023/12/03.. تاريخ المراجعة: 2023/01/05.. تاريخ القبول: 2023/03/31

الملخص باللغة العربية: عدّت الرحلة العلمية من أهم وسائل التواصل والتثاقف الفكري بين مجتمعات مختلف الأقطار والاحتكاك بمختلف الثقافات؛ أين كان المشرق الإسلامي وجهة الكثير من علماء المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط على مرّ أزمنته نظرا لأهميته الروحية باعتباره مهبطًا للوحي ومقصدًا للحج، إذ كان هذا الأخير ملتقى الشعوب والثقافات والأفكار مما سمح بتبادل المعارف وتحصيل العلوم ومعرفة "الآخر"؛ وهذا بلقاء العلماء بمختلف تخصصاتهم ومجالستهم والسعي إلى تحصيل طرق الرواية منهم وبالخصوص الإجازات العلمية.

وهو الأمر الذي رصدته المصادر التاريخية حول مقاصد وغايات رحلات علماء المغرب الأوسط بالخصوص بين القرنين (7- 9هـ/13- 15م)، طامحين في نيل سبق الروايات وحيازة أعلى الأسانيد والظفر بإجازات تمنحهم حق التدريس، مما خلق تواصلا بين مختلف الأجيال والأقطار من أجل حفظ علوم الحضارة الإسلامية.

إلا أننا نشهد تراجعًا أواخر القرن (9هـ/15م) في عدد الرحلات نحو المشرق، وانخفاضًا في تحصيل الإجازات بسبب الأوضاع الأمنية المضطربة، وكذا نداءات العلماء بتفضيل الجهاد ضد النصارى على الحج عقب سقوط غرناطة سنة (897هـ / 1492م).

الكلمات المفتاحية: الرِّحلةُ العِلْميّة، الإسناد، الإجازة، المغرب الأوسط، المشرق الإسلامي، العلماء، العلوم، السند العالي، بجاية، تلمسان.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ABSTRACT: The scientific Journey is one of the most important means of communication between countries, and also a way of getting in touch with different other cultures. The Islamic East was the destination of most Middle Maghreb savants during the Middle era for it was an important spirituel place and the land of messengers. It was also a destination for pilgrimage. This land was the cross road of People, ideas, exchanging knowledge and getting sciences. This was made possible by encountering and meeting other savants wishing to get rewards from them.

Historical resources recorded the aims of the journeys of the Middle Maghreb savants during the 7th and 9th century H (13-15 BC) which were searching to obtain qualifications allowing them to teach. Thanks to these journeys, binding generations and countries, Islamic civilization sciences were preserved.

However, we notice a decline in the number of journeys to the East during the late 9th century H (15 BC) and a decreasing desire to getting rewards due to security crisis and the callings of savants to prefer the holy war against the christians following the fall of Granada in the year 897 H/1492 BC.

Keywords: The scientific Journey, isnad, Ijaza, The Middle Maghreb, The Islamic East, Savants, Sciences, Es-sanad El-ali, Bejaia, Tlemcen.

مقدمة: تعددت غايات الرحّالة ومجالات المقاصد بين اكتشاف العوالم ومعرفة البلدان وممارسة التجارة، وبين الرغبة في لقاء العلماء وحضور مجالس الدرس، وزيارة الأماكن المقدسة، ولعلّ الرحلة العلمية كانت في رزنامة الرحّالة، طمعًا في الاستزادة من المعارف والاستفادة من التجارب.

فقد خاض علماء المغرب الأوسط- كغيرهم- غمار الرحلة العلمية داخليًا وخارجيًا، ومغربًا ومشرقًا، وشمالاً وجنوبًا، وكل هذا كان خاضعًا للظروف المرتبطة بعامل الأمن والاستقرار، وكذا ميزان الأفضلية والحتمية التاريخية خلال النصف الثاني من القرن 9هـ/15م بسقوط غرناطة وإشكالية الأولوية بين الحج والجهاد.

إذ كان المشرق الوجهة الأكثر قصدًا لتأدية فريضة الحج واللقاء بعلماء المشرق ونيل الحظوة المعرفية بالحصول على الإجازات العلمية، والسعي لضمان الوجود والذكر ضمن ثنايا سلسلة السند في رواية الأحاديث وتدريس وشرح أمهات الكتب.

أين رصدت لنا المدونات المصدرية العديد من العلماء ممن رحل إلى المشرق خلال فترة ما بين القرنين (7-9هـ/ 13-15م)، معلنين ضمن ثنايا تدوينهم لرحلاتهم أو في دفات

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

نصوص التراجم على الإجازات التي نالوها في خط رحلتهم من مختلف الحواضر، وثبّتوا نقول مروياتهم وأسانيدهم فيها لمختلف المدونات الفقهية والكلامية والصوفية ومختلف العلوم النقلية والعقلية، فانعكست تجربة الرحلة إلى المشرق على مجالس الدرس بمختلف المؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط، ومن النماذج التي نسوقها: ناصر الدين المشدالي (ت731هـ/1331م)، وابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م)، وعبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1471م) وغيرهم كثير.

لذا نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى معرفة صور مجالات الرحلة لعلماء المغرب الأوسط، وتداعيات الهجرة إلى المشرق ومعالم مقاصدها، وانعكاساتها على مجالس الدرس بالمغرب الأوسط، ومساهمتها في زرع اليقظة المعرفية وتحريك النشاط العلمي بمنح الإجازات وربط الأسانيد التي كان المشرق منبع الوحي ومصدر المدد، فكانت الفترة الوسيطة المنطلق الذي واصل تأثيره على العصر الحديث وما يليه.

هذا ما يدفعنا إلى التساؤل: **فيم تكمن دواعي العناية بالرحلة لنخبة المغرب الأوسط نحو المشرق والحرص على الاستجازة؟ وإلى أي مدى كانت مظهرا للمنزلة والتزكية العلمية أو شهادة علمية مفتوحة غير مقيدة بضوابط ومعايير؟**

أولا: الإجازة العلمية والسند... أصول الرواية والتزكية: ثمة مقاصد عدّة دفعت بعلماء المغرب الأوسط خوض غمار الرحلة إلا أنها لم تكن لنية الحج أو التجارة أو طلب العلم وفقط، بل كان طموحهم تحصيل الإجازة والاعتزاز بالسند العالي في علم الحديث.

أ. الحج والرحلة العلمية... مِنَ المشرق الإعداد والإمداد: يقول سبحانه وتعالى: "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"[1]، فقد كان من بين الوفود طلبة العلم والعلماء بمختلف مذاهبهم ومشاربهم، أين كانت رحلة الحج عندهم أبعد من الحج نفسه؛ وهو ملتقى الأفكار للنخب التي تتطلع الأعناق إلى مجالستها والاستماع إليها[2]، مساهمًا بذلك في تنشيط الرحلات وتعزيز التواصل بين النخب بملاقاة كبار المحدثين والفقهاء، إذ صدق القائل: (المديد)

1- سورة الحج، الآية 27

2- أحمد بنعيسى: فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من ق 5 – 9هـ، ندوة مكة المكرمة، 2005، ص 258.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يَظُنُّ الغُمْرُ أَنَّ الكُتْبَ تَجْدِي أَخَــا ذِهْـــــنٍ لِإِدْرَاكِ العُلُومِ
وَمَا يَدْرِي المَجْهُولُ بِـأَنَّ فِيهَا غَوَامِـضَ حَيَّرَتْ عَقْـلَ الفَهِيمِ
إِذَا رُمْتَ العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ[1].

لهذا كان ابن خلدون يرى أن الأخذ من المشايخ مباشرة والحرص على ملاقاة مشاهيرهم ضروري لأن: "البشر يأخذون معارفهم... تارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة"[2]، مضيفًا: "أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قدرة كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[3]، فكان الحج غاية ووسيلة في آن واحد، وهذا ما هو ملاحظ في معظم المصنفات التاريخية التي تورد لنا أغراضا شتى وعوامل متنوعة للرحلة[4].

ظَلَّ هاجس العلم ملازمًا لهاجس الحج، أين كان المغاربة في رحلاتهم يذكرون من لقوا ولقيهم من أهل العلم في الحواضر الكبرى كتونس والإسكندرية والقاهرة والقدس وحلب وبغداد ومكة والمدينة[5]؛ إذ رصدت لنا المصادر أن ركبا: "للحجاج يخرج سنويا من المغرب الأقصى مكونا من حجاج الأندلس والمغرب، وعند مروره بالمغرب الأوسط ينضم إليه حجاجه، فيسلك طريق البر الآتي من تلمسان وإما على بجاية لمن سلك طريق البحر، ومنها إلى أطهر بقاع الأرض بالحجاز"[6]، وكان هذا الركب متنوع من حيث فئاته سنا وثقافة وجغرافية، حاملاً معه الكثير من العلماء وطلبة العلم.

والملاحظ من خلال تتبع النصوص التاريخية، أن طلاب العلم لا يكتفون بما يحصلونه من العلوم، بل يشدون الرحال إلى مختلف الحواضر العلمية الكبرى سواء منها المغربية

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1998، 2/ 564.
2- المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص 539.
3- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 540.
4- مما ورد كنموذج عنها ما قاله القلصادي: "الميل إلى الاستطلاع واكتشاف المجهول والتعرف على المظاهر الكونية، هو ميل غذّته تعاليم الإسلام، ومنها القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة التي كانت مهبط الوحي وانطلاق الدعوة المحمدية، ومنها كذلك الرغبة في ارتياد مراكز العلم في أنحاء المغرب وبلاد المشرق للاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم واستجازتهم... الخ". أبو الحسن علي الأندلسي القلصادي: رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 59.
5 - يرى الباحث أبو القاسم سعد الله أن الفراغ الذي تقدمه إفريقيا جنوبا والعداوة التي تناصبهم شمالا؛ تدفعهم إلى الاتجاه نحو الشرق للخروج من العزلة والاشتراك في النشاط الحضاري الإسلامي أخذا وعطاءً. بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 149.
6- محمد ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 385.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

كبجاية وتلمسان وتونس وفاس، أو المشرقية كالقاهرة ودمشق وبغداد والمدينة[1]، إلا أنهم لم يتوقفوا عند هذه الحدود والحواضر، وإنما تجاوزوا ليأخذوا الحديث والكتب من مساقط رؤوس العلماء وأئمة الحديث وعمن تتلمذ عليهم من أهل بلدهم[2].

ويعزى هدف الرحلات إلى عاملين أساسيين وهما: ضمان سلامة المنهج النقلي؛ وذلك بتصحيح المتون المروية ووصل أسانيدها بمؤلفيها حتى تكون واضحة وصالحة للبحث والدرس وأخذ الأحكام منها، وتصحيح منهج التفكير وبنائه على قواعد ثابتة[3]، كما تتيح لهم فرصة التعرف على مناهج التعليم والمستجدات من المصادر والتآليف المفيدة قصد نشرها بين الطلبة[4]، وتحرّك الرغبة في أخذ الإجازات من الشيوخ والرواية عنهم[5]، والتثبيت من الحديث وطلب السند العالي للتخفيف من كثرة الوسائط[6].

لذا كانت من مقاصد رحلات العلماء طلب الحديث ووصل السند المغربي بالسند المشرقي، ليتصل سند حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - على نسق واحد ليس فيه انقطاع في كافة أرجاء العالم الإسلامي، وهذا بعد ما ظلّ للمشرق الأسبقية في ميدان الرواية باعتباره مهبط الوحي، ويظل كذلك ملتقى المحدثين وأرباب الإسناد لاتساع رقعته وسهولة الاتصال بعلمائه وتوفر مجالس درسه، ورعاية العلم في أكثر حواضره، فمن الطبيعي أن يتطلع إليه متشوق للرواية[7].

وهو الأمر الذي دفع بالبعض إلى القول بأنه ثمة اعتقاد مفاده أن الشخصية العلمية المغربية لا تكتمل إلا بالأخذ عن المشارقة والتتلمذ عليهم، وهذا هو سر كثرة الرحلات نحو

1- محمد بوشقيف: تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال ق 8-9هـ/14-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011، ص 76.

2- لا نستغرب الانتشار الواسع لعلماء بلاد المغرب الإسلامي في المشرق خلال القرنين 6و7هـ/ 12و13م وبلوغهم حتى إلى ما وراء النهر ووصولهم مجال الهند والصين، ومن الغريب أن أخبار التتر المخيفة لم تكن تصرفهم عن وجهتهم، ويبدو أن من أسباب اقتحامهم تلك المخاطر الوصول إلى مواطن المتحدثين والعلماء ببخارى وقزوين ونيسابور وغيرها. أحمد بنعيسى: المرجع السابق، ص 284.

3- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983، ط2، 1/ 12.

4- أحمد بنعيسى: المرجع السابق، ص 301.

5- أبو محمد عبد الحق ابن عطية: فهرس ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ط2، ص 41.

6- عبد الغني مزهر: الأصول العامة لمناهج المحدثين، منشورات جامعة الملك سعود، السعودية، 1996، ط1، ص 22.

7- أحمد بنعيسى: المرجع السابق، ص 285.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المشرق وقلة الرحلات العكسية من المشرق نحو المغرب، فهي تناظرية في القليل، فالمقري ذكر (307) رحالة أندلسي إلى المشرق بينما لم يذكر من الرحالة المشارقة إلا حوالي (86) راحلا فقط! ولا يفسر هذا إلا بشعور المغاربة بالتلمذة على المشارقة[1].

وهذا ما عبّر عنه المؤرخ ابن خلدون حين قال: "أهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، بل وفي سائر الصنائع حتى إنه لَيظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيسا بفطرتهم الأولى، وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس أهل المغرب، ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية ويتشيعون لذلك ويولعون به لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع وليس كذلك"[2].

موضحًا كذلك حال سوق العلم بالمشرق[3] في قوله: "وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل أسواقه نافعة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خُرِّبَتْ مثل: بغداد والبصرة والكوفة، إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظم من ذلك، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم إلى القاهرة وإليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما "[4].

وانقسم الرحالة بين من آثر البقاء هناك ومن عاد إلى موطنه؛ ومن النماذج التي نسوقها على إيثار البقاء على العودة من علماء المغرب الأوسط أبو عصيدة البجائي (حي

---

1 - أبو القاسم سعد الله: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ص 149. كانت الضرورة تدعو إلى شد الرحال إليهم ولو بَعُدَ المكان وطال الزمان، لأن التلمذة هي مطمح المغاربة. عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب – منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة –، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (تطوان)، جامعة عبد الملك السعدي، 1999، ط1، ص 58.

2- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 404.

3- قيل في حق المشرق ومدى أهميته مقارنة بالمغرب؛ فعن ابن سيد الناس عن أبي الحسن ابن جبير: (الكامل)

سْتَوِي شَرْقُ البِلاَدِ وَغَرْبُهَا — الشَّرْقُ حَازَ الفَضْلَ بِاسْتِحْقَاقِ
ظُرِ لِحُسْنِ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا — بَيْضَاءَ تَصْحَبُ بَهْجَةَ الإِشْرَاقِ
ظُرْ لَهَا عِنْدَ الغُرُوبِ كَئِيبَةً — صَفْرَاء تَعْقُبُ ظُلْمَةَ الآفَاقِ
ى بِيَوْمِ طُلُوعِهَا مِنْ غَرْبِهَا — أَنْ تُؤْذِنَ الدُّنْيَا بِوَشْكِ الفِرَاقِ

أبو العباس أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ط2، ص 80.

4- المصدر السابق، ص 404.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

856هـ/1452م)، وهو يعتبر من المجاورين للحرم المكي، وكان له شرف الجلوس للتدريس بالحرم النبوي، فتمذهب بالمذهب الحنفي، وقد أجازه كمال الدين الهمام، مستفيدًا من استقراره بالحجاز الحصول على الإجازات[1].

هذا إلى جانب عدد من الذين ذكر الإمام السخاوي (ت902هـ/1497م) - وهم تسعة علماء من المغرب الأوسط -أمر بقائهم أو عودتهم، فكل وظروفه فهناك من عاد ومنهم من وافته المنية في الطريق بمصر وغير ذلك، ومن بين الذين آثروا العودة بعد تحصيل وافر من معين المشرق: عبد الله بن يوسف الحسناوي البجائي، حيث قال عنه:" وكتبت له إجازة حافلة ورجع إلى بلاده... الخ"[2].

ومن النماذج عن عماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق واستفادوا من رحلتهم وعادوا إلى المغرب، أبو بكر ناصر الدين المشدالي (ت731هـ/1330م)- مصطحبا معه مختصر ابن الحاجب- الذي قال عنه ابن خلدون: "ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد"[3]، دون أن ننسى نفرًا منهم ممن له باع بالمشرق، فمن خلال الذين ذكرهم القلصادي (ت891هـ/1486م) تدل نسبتهم من المغرب الأوسط، وقال بأنه ناقشهم وتبادل أطراف الحديث معهم لأن بعضهم كان له به سبق معرفة وهم: قاسم بن الحسين التلمساني، وأبو الفضل قاسم بن أبي حديد القسنطيني، والشيخ أحمد الزواوي والشيخ عيسى الزواوي[4].

أ. الإجازة... تأشيرة التدريس: كانت الكراسي العلمية بالنسبة لعلماء المغرب الأوسط لا تقل أهمية عن المناصب الوزارية ولا يعيّن فيها إلا فطاحل العلماء، لذا فقد كان المجال ذو إشعاع علمي موحد بين أقطاره الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى، فطلبة العلم ينتقلون بينها اغتناما للفرص في المجالس العلمية[5]، فرغم هذا إلا أن الحُفاظ لحق بهم ضيم

1 - أبو عصيدة البجائي: رسالة الغريب إلى الحبيب، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ط1، ص 29.
2 - شمس الدين محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، 1992، ط2، 73/5
3- المصدر السابق، ص 403.
4- القلصادي: المصدر السابق، ص 134 . 135.
5- ابراهيم أحمد الوافي: "التفسير وعلوم القرآن بالغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري "، ضمن كتاب الأندلس – قرون من التقلبات والعطاءات -، لمجموعة باحثين، تقديم: عبد الله بن علي الزيدان، ق5، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996، ص 11.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

هموتراثهم على أساس أنهم مغاربة، والمغرب في هذا المجال ليس دون بغداد ودمشق ونيسابور[1].

من عادتهم الإكثار من الحصول على الإجازات في رحلاتهم الحجية و/أو العلمية، حيث يأخذ من كل مدينة يمر بها إجازة من شيوخها، وهذا يدل على مدى سعي طلاب العلم في الإكثار منها تدعيما لمصداقيتهم العلمية[2]، لضمان انتشار علمه سليما خاليا من التحريف والأغلاط[3]، وهو الأمر المؤكد من خلال عملية التقصي في النصوص التاريخية، أين نجد أن العلماء مصرّين على ملازمة الشيوخ والمحدثين من أجل الحصول على إجازة لوصل سندهم بشيوخهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[4].

وما هو ملاحظ ومستنبط أن علماء الغرب الإسلامي لم يختلفوا كثيرا عن علماء النواحي الأخرى، فقد نهلوا من معين المدرسة المشرقية في مختلف الفنون والعلوم ورحلوا طلبا للعلم، فاختلطت الأسانيد المغربية بالأسانيد المشرقية، وظهرت بعض الأسانيد العالية[5]، كما عرفوا عديد الأنواع من الإجازات[6]: إجازة السماع، وإجازة المكاتبة، والإجازات التقديرية، والإجازات العامة، والإجازات التكريمية، والتدبيج.

ج. **رحلة البحث عن السند العالي:** عبّر ابن حزم الأندلسي عن الإسناد بقوله: "ما نقله الثقة عن الثقة حتى يبلغ به إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يخبر كل واحد منهم باسم عنه ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان... وهذا النقل خصّ الله عز وجل به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضًا جديدا على قديم الدهور في المشرق والمغرب والجنوب والشمال... الخ"[7].

1- محمد بن عبد الله التليدي: اختيارات وآراء المغاربة في علوم الحديث النبوي ومصطلحه، مجلة دعوة الحق، المغرب، ع285، 1991، ص 97.

2- لامعة زكري: " الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2010، ص76.

3- محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب – أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية -، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص 36.

4- مصطفى المسلوتي: الإجازات العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب، مجلة دار الحديث الحسينية، ع7، الرباط، 1989، ص 241.

5- أحمد الوافي: المرجع السابق، ص 59.

6- مصطفى المسلوتي: المرجع السابق، ص 244 - 249.

7- أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1996، ط2، 221/2.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

لذا لم يكتف العلماء بالرحلة بحثا عن السند وإيجاد مكانة في السلسلة وفقط، بل ظهرت نزعة جديدة وهي الاعتزاز بالسند العالي، لاسيما عندما يكون عدد رجاله قليل بالنسبة للأسانيد الأخرى، ويعتزون بأن سندهم عال، ويجدون ذلك أهم مكسب لهم في رحلاتهم[1]، فنتلمس الاعتزاز بالسند العالي عند الكثير أين "كان يرحل في طلبه من كان لا يحصي عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده"[2] للظفر به، مثلما كان لعبد الرحمان الثعالبي (ت875هـ/1470م) سند عال افتخر به ضمن رحلته، جاء فيه: " ولا أعلم الآن على بسيط الأرض أعلى إسنادا من هذا الحديث بهذا السند، ولا يساويني في علوّه إلا من شاركني في الأخذ عن أبي زرعة فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رجال"[3].

وقد سجلت كتب التراجم والأثبات رحلات لعلماء المغرب الأوسط بهدف الاطلاع على مختلف العلوم[4]؛ أين كان طلبة المغرب الأوسط ينتقلون بين أرجاء المغرب الإسلامي ليدرسوا ويُدرِّسُوا بحواضره الثقافية كتونس وبجاية وتلمسان وفاس... الخ، أو يليها المشرق الإسلامي ليأخذوا عن شيوخ القاهرة ودمشق وبغداد فضلا عن شيوخ الحرمين الشريفين[5].

لذا فقد أسهمت الرحلة العلمية في إثراء الحياة الثقافية وتوطيد التواصل الحضاري لبلاد المغرب الأوسط مع غيرها من دول بلاد المغرب والأندلس والمشرق، رغم وصول بعضهم إلى مراتب علمية متقدمة بعد زياراتهم لمناطق بعيدة جغرافيا وثرية ثقافيا وحضاريا[6].

ومن الحواضر التي يمكن تسليط الضوء عليها تلمسان الزيانية التي كانت محط أنظار معظم العلماء والفقهاء والأدباء في أرجاء المغرب الأوسط الذين كانوا يعتبرون أن ظهورهم على مستوى ديار الإسلام يبدأ من تلمسان لوجود المعاهد العلمية وعدد من العلماء

1- أحمد بنعيسى: المرجع السابق، ص 285.

2- ابن حزم: المصدر السابق، ج 2/ 221.

3 - غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، لبنان، 2005، ط1، ص 55.

4 - محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 77.

5 - عبد القادر بوحسون: "العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/ 1235-1554م)"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2008، ص 140.

6 - علياء هاشم المشهداني: "فقهاء المالكية -دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف ق 6هـ/ 12م-"، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، 2003، ص 97.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المشهورين فيها[1]، وهي التي قال في حقها القلصادي عام (840هـ/1436م):"كنت في أثناء ذلك آخذ في القراءة والإقراء وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة والهمم إلى تحصيله مشرفة"[2].

وقد كان نظام الإجازة منتشرًا فيها منذ تأسيسها[3]، وأصبح بمرور الزمن عادة متوارثة جيلا بعد جيل، فقد قدم الشيخ أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني الإجازة إلى بعض طلبة فاس ومراكش[4]، وهو من نتاج ثمرات أبو موسى عيسى بن الإمام (ت749هـ/1349م) الذي تتلمذ على مشايخ تونس التي كان سند التعليم فيها متصلا بالمشرق: "وانتقل من تونس إلى تلمسان في ابن الإمام وتلميذه"[5]، واستطاعت تلمسان أن تحافظ على نفس الوتيرة باستقطاب علماء آخرين فقد: "انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي... وبث طريقته فيها "[6].

كما تعدّ بجاية "قاعدة المغرب الأوسط"[7] من أهم حواضره التي عرفت ازدهارا ثقافيا حفظ مآثرها أبو العباس الغبريني (ت 704هـ/1304م) في كتابه: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية": أين تشكلت بها طبقات من العلماء كأفراد وحتى كأسر كأسرة المشداليين والغبرينيين وغيرهما مما أثرى المنتوج الحضاري ببجاية، مستفيدة من علماء ومدرسين جاءوا من تلمسان وحتى من فاس ومن غيرهما مساهمين في ازدهار المناهج التعليمية والتربوية بهذه المدنية[8]، نظرا لما تمثله بجاية كمرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق وكانت تقع في طريقهم و يمرون بها ذهابا وإيابا، ومن الذين رحلوا إلى

1 - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: "تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)"، مذكرة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، الأردن، 2002، ص 221.

2 - القلصادي: المصدر السابق، ص 95.

3 - عمل السلاطين الزيانيين على تشجيع العلم بدفع رواتب الأساتذة وتقديم المنح للطلبة، وكانوا يسلمون الإجازة لمن يستحقها ليحققوا التنافس في شتى العلوم (انظر: الجيلالي شقرون: تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، د.ع، د.ت، ص 05).

4 - محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 80.

5 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 403.

6 - المصدر السابق: ص 403.

7 - أبو عبد الله محمد الإدريسي الحمودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص 260.

8- محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية – دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية -، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 30.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المشرق وعادوا ناصر الدين المشدالي الذي :"رجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل ببجاية واتصل سند التعليم [مع المشرق] في طلبتها "[1].

يتضح لنا مما سبق ذكره من عيّنات عن أحوال أهم حاضرتين بالمغرب الأوسط أن الحياة الثقافية كانت مزدهرة، وإن لم تكن على نفس الوتيرة إلا أنهما استطاعتا بفضل نخبتهما الحفاظ على سند التعليم واتصاله بالمشرق وتفرعه بين المغاربة.

لذا ثمة شرف عظيم للمغرب الأوسط حتى مع تونس في هذا المكسب في ظل فقدان الأقطار المجاورة لسند التعليم وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خُلوًا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسير عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم، وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم"[2].

من خلال هذا يمكننا أن نخلص إلى أن الإسناد ضروري، ما دفع بعلماء المغرب الأوسط إلى الاعتناء بشيء مهم له علاقة بالإسناد ألا فهي: الإجازة العلمية؛ باعتبارها تدل على المستوى العلمي، وهو الأمر الذي دفعهم لتبادل الزيارات العلمية بينهم طلبا للعلم ولمزيدٍ من المعرفة رغبة في الحصول على الإجازات[3]، مثلما نجدها في إجازة ابن مرزوق الحفيد لعبد الرحمان الثعالبي[4].

والواضح في الأمر أن علماء المغرب الأوسط كانوا من طلاب الإجازة في الغالب وليسوا من مانحيها وإن كنا نقر بأنهم قدموا إجازات لطلبتهم واتصل السند عن طريق مغربي أو حتى مغرب أوسطي، ومع ذلك فلو أحصينا عدد العلماء الذين منحوا الإجازات من غير علماء المغرب الأوسط لاندهشنا لكثرتهم[5]، وبسببها رحل الكثير خلال القرنين 8- 9هـ/14- 15م) إلى الحواضر الإسلامية للحصول عليها في مختلف العلوم خاصة الدينية، فالمغرب الأوسط

1 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 403.

2 - المصدر السابق، ص 403.

3 - مريم هاشمي: "العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال ق 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011، ص 125.

4 - عبد الرزاق قسوم: عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 132-138.

5 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج2/41.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

خلال القرون الثلاثة عرف واشتهر بجيل من العلماء ساهموا في دفع الحركة العلمية إلى الأمام وساهموا مساهمة فعالة في إثراء حقل العلوم بالمغرب الأوسط[1].

ثانيا: جسور التواصل العلمي... الصدى المشرقي والواقع المغربي: تعدّ الإجازة جسر المغرب إلى المشرق، وهي التي ربطت المجالين وغيرهما، الأمر الذي يجعل متتبعها يظفر بصورة عن الوحدة المجالية آنذاك، لكن باقتفاء أثرها في النصوص والروايات والمصادر التاريخية يتأكد لنا أنه من الصعب أن نحصي عدد الإجازات لأن ذلك يكاد يكون مستحيلا[2]، على الرغم من هذا إلا أنه ثمة نماذج تعبر عن مدى الاهتمام بالإجازات وسلامة السند وعلوه عند علماء المغرب الأوسط؛ متجاوزين الحدود السياسية والجغرافية، وموحدّين المجالات عبر الانتماء إلى نفس سلسلة الرواية.

أ. السند المجالي... خط المشرق- المغرب- الأندلس: انطلاقا من عملية الرصد لسلسلة السند وتحصيله عبر الرحلة العلمية، نلاحظ ظاهرة سلسلة "السند المجالي"، أين تعود الروايات الأولى للمشارقة نظرا لأسبقيتهم في هذا العلم، ثم حضور رجال باقي الأقطار في السلسلة نظرًا لانتشار تزكياتهم في باقي الربوع ومن بينها المغرب الإسلامي، فامتزجت الروايات وتنوعت سلسلتها ما شكّل وحدة بين الأقطار.

ففي إطار التواصل "الأندلسي – المغربي" مثلا فقد حطّ الرّحال ببجاية الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير بسيدي محي الدين بن عربي الأندلسي (ت 638هـ/1240م) الذي " كان يحدّث بالإجازة العامة... وأجاز لأهل عصره ولمن أحبّ الرواية عنه "[3]، ويعتبر كذلك أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي من جهابذة العلم ببجاية؛ والذي حظي له أن أجازه أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الصقلي[4].

وذكر أيضا الغبريني عالما آخر مغرب أوسطي انتقل إلى الأندلس وحصل على إجازة من أحد علمائها وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح (ت 629هـ/1232م)؛ الذي كان له الشرف في الحصول على إجازة من الشيخ أبو الحسين ابن

1 - محمد بوشقيف: المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، دورية كان التاريخية، ع11، د.م، 2011، ص 61.
2 - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2/41.
3- الغبريني: المصدر السابق، ص 158.
4 - الغبريني: المصدر السابق، ص 222.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

زرقون الإشبيلي:" وأجاز له إجازة خاصة وعامة، خاصة فيما نصّ عليه وعامة فيما لم يعينه... وكتب له بذلك بخط يده في عقب ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة"[1].

وفي موضع آخر ينقل لنا الغبريني رواية نفهم منها الكثير أثناء ترجمته للشيخ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت 633هـ/1235م) قال: "ومن شِعر أبي الخطاب ما وقعت عليه في ورقة بخط بعض المشارقة ونصه: قال الحسن بن أحمد بن عبد الرحيم البيساني: كتب إليّ الفقيه الحافظ أبو الخطاب عمر ابن دحية، وأجازني الرواية عنه وشافهني بالإجازة قال: [وأورد القصيدة كاملة إضافة إلى أخرى] "[2].

وفي موضع آخر ينقل لنا سنده" بالقاضي أبي علي المسيلي (ت 580هـ/1184م) عن الخطيب أبي عبد الله الكناني عن أبي محمد بن برطلة عن الشيخ أبي عبد الله ابن حمّاد عن القاضي أبي علي المسيلي قراءة عليه وإلقاء إليه"[3]، فسنده مع الشيخين الأولين هما من أهل الأندلس لكنهما استوطنا ببجاية لمدة طويلة، أما الثالث في السلسة فهو من قلعة بني حمّاد.

وله كذلك سند في رواية البخاري برتبة: "وهذا السند عالٍ وقد روى عنه الأندلسيون ببجاية لقصور سندهم عن هذا السند"[4]، ويتضح لنا أن السلسلة في روّاتها الأوائل تعود للمشارقة ثم تعود في نهايتها إلى المغاربة، وتبدأ في الانتشار بين طلبة المغرب، كما ثمة مسألة أخرى جد مهمة في الأسانيد المنتشرة بالمغرب الأوسط وهو ما عرّج عليه الغبريني وهو: سند التصوف، الذي ظلّ مرتبطا بكبار متصوفة المشرق[5].

كما نجد عينات من علماء المغرب الأوسط خلال القرن (8هـ/14م) قد تحصلوا على إجازات على نحو: سيدي محمد بن سليمان النجار (ت 765هـ/1363م) من مدينة الذي

1 - المصدر السابق، ص 263.

2- المصدر السابق، ص 272. هنا يمكن لنا أن نتساءل حول عبارة: "بخط بعض المشارقة": فهذه الوثيقة ومضمونها مكتوبة بخط مشرقي، لذا يا ترى أبالمشرق كتبت النسخة ثم نقلت إلى المغرب؟ أم بالمغرب لكنه من طرف مشرقي كان متواجدا بالمنطقة؟ أم يُحتمل بأنها كتبها مغربي بخط مشرقي؟ وجميع الاحتمالات واردة.

3- المصدر السابق، ص 39.

4 - المصدر السابق، ص 139.

5 - المصدر السابق، ص 124.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أخذ إجازة بالأندلس على شيخه ابن الفخار البيري[1]، وهناك عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 757هـ/1356) الذي أخذ إجازة من الشيخ أبي القاسم بن رضوان[2]، ونجد ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1407م) يقول: "وقد أذنت لمن رآني أو رأى من رآني وهما درجتان؛ أن يحدِّث عني إن شاء الله بما شاء من مصنفاتي أو صح لديه من رواياتي "[3].

وممن كان له باع وفضل كبير على المغرب: منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي ناصر الدين الذي رحل إلى المشرق وأقام نحو عشرين عاما ولقي الأفاضل وأخذ عنهم كالعز بن عبد السلام والشرف المرسي[4]، وبعد هذه الجولة العلمية "رجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد، ونزل بجاية واتصل سند تعليمه في طلبتها"[5].

أما في تأليف "رحلة الثعالبي" فإننا نلمس الصورة الواضحة عن حياته العلمية من تنقلاته ومشايخه ومجالسه وتلاميذه، وذكر لنا بالتفصيل كل العلوم التي كان له حظ تعلّمها، وبالتمعن في مصنفه نلمح أسانيده في الروايات وإجازاته، أين استهله بقوله: "وكانت مروياتي كثيرة وطرق أسانيدها كثيرة، وكان يشق عليّ تتبع جميعها لكل إنسان، واخترت من ذلك المهم مجرّدًا من الأسانيد، ومن أراد بأسانيدها وجدها في فهارسي التي عليها خطوط مشايخي"[6].

وقد كان الثعالبي حريصا جدا على بقاء السند العلمي واستمراره مُقدرا أهميته، وقد بدا ذلك من خلال سعيه الجدي في لقاء الأقطاب من شيوخ عصره واستجازتهم، كما بدا في إثرائه حلقات سلسلة السند[7]، مثلما وقع له في حديث بلغ بنفسه مرتبة: "عشاري"، الذي راح يُتحف به شيخه أبا عبد الله محمد بن مرزوق عند وداعه له: "فَسُرَّ به، وكان سألني أن

1 - محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون من ق2هـ إلى ق14هـ، السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي، الجزائر، د.ت، 95/1.

2 - محمد المختار اسكندر: المرجع السابق، ج1/125- 126.

3 - المرجع السابق، ج92/1.

4 - محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930، ص 217 – 218.

5 - ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص 403.

6 - الثعالبي: المصدر السابق، ص25.

7 - هناك اعتزاز نجده عند عبد الرحمن الثعالبي الذي كان الحديث النبوي الشريف ومصنفاته شغله الشاغل في رحلته، وقد ذكر الأحاديث والروايات والمصنفات التي أخذها عن الشيوخ. الثعالبي: المصدر السابق، ص 55-56.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أجيزه مروياتي رحمه الله، ولا أعلم الآن على بسيط الأرض أعلى إسنادا من هذا الحديث بهذا السند، ولا يساويني في علوّه إلا من شاركني في الأخذ عن أبي زرعة فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رجال، فقرب الرسول تقرِّب للجنة إن شاء الله"[1]، ولمّا علم بهذا أحد أقطاب الأمة ألا وهو الزروالي سارع جاهدا للحصول على هذا الشرف، وقال عن هذا الحدث: "لما بلغت هذا المحل بالقراءة على شيخنا وبركتنا... عبد الرحمن الثعالبي... تعجبت من علو إسناد هذا الحديث وقرب الشيخ من الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما رأى مني ذلك قال: وأنت أيضا ما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحد عشر أنا لك الحادي عشر، فأتحفني به وفرّحني رضي الله عنه وسررت به غاية السرور"[2].

وبالنظر إلى مجموع الإجازات التي وردت ضمن ثنايا مصنف ابن مريم المديوني (ت1014هـ/ 1605م): "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"[3]، نلاحظ ما يدل على شيوع ظاهرة غير جديدة ونمط معتاد على هذا القرن (9هـ/15م) وهي: الإجازات العامة، من حيث اختلاف العلوم من نقلية وعقلية، وكذا من حيث طبيعتها: نثرية وشعرية، ومن النماذج التي ساقها لنا لأحمد بن محمد المناوفي: "وإني رأيت الأئمة الأكابر والجلة المشاهر قد استجازوا إجازة مَن في الأصلاب، فكيف بمن يمشي على التراب، بل ربما عدّ من الطلاب... الخ"[4]، فهذا نموذج يعكس شمولية الإجازة وتعميمها، وفي نص آخر ينقل لنا إجازة من أحمد بن محمد بن زكري عام (897هـ/1492م) نصها: "... إجازة مطلقة عامة... تحتوي على جميع أنواع العلم وفنونه... وتعم أيضا من يأتي بعده من بنيه من حامل عن بنيه وجاهل وفقيه على استمرار السنين... الخ"[5].

1 - المصدر السابق، ص 58.

2- المصدر السابق، ص 59.

3 - عدد الإجازات التي ذكرها تابعة للقرن التاسع هي تسعة، إضافة إلى إجازات أخرى تكلم وتحدث عنها لكنها تخص القرن 10-11م.

4- ابن مريم المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص20.

5 - ابن مريم: المصدر السابق، ص 19

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وبالمقابل كان لأحد فضلاء المغرب شرف الرحلة إلى المشرق للحج وقراءة الكتب على مؤلفيها طلبا للعلم وهو: قاسم بن سعيد التلمساني (ت854هـ/1450م)، حيث ارتحل للحج عام (830هـ/1426م) وأثناء عودته مرورا بمصر حضر إملاء لابن حجر فطلب الإجازة ونالها[1].

من خلال هذه اللمحة عن يمكن لنا القول بأن علماء المغرب الأوسط حصل لهم شرف نيل الإجازات من جهابذة زمانهم وحتى شرف تقديمها، لكن نلمس كذلك نوعا من الفتور في الإجازة العلمية ونقص الاهتمام بها؛ فربما مردّ ذلك إلى الصراعات السياسية القائمة بين دول المغرب الإسلامي ممّا قضى على عنصر الأمن والرحلات العلمية ماعدا النزر القليل الذي قليلا ما نعثر عليه في الكتابات.

ج. **فتور الرحلة وأفول الإجازة:** يمكن لنا أن نشير إلى أن الرحلة العلمية قد أصابها الفتور خاصة بعد النصف الثاني من القرن (9هـ/15م) ببلاد المغرب، ومردّ ذلك إلى دعوة العلماء إلى الجهاد وإيثاره على الحج من أجل رد غارات النصارى الإسبان على الأندلس وسواحل المغرب الإسلامي، فيقول الباحث أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد: "بالرغم من أن القرن التاسع كان عهد إنتاج ثقافي وخير، فإنه على المستوى السياسي كان عهد اضطراب وتدهور... الخ "[2].

وفي هذا الصدد يقول الحسن السائح عن الرحّالة: "إن رحلاتهم الحجازية [المغاربة والأندلسيون] ضعفت في القرنين (8و9هـ/14-15م) بسبب دعوة العلماء إلى الجهاد وإيثاره على الحج" ويضيف أن "سبب ذلك انشغال من يهمهم الأمر في العدوتين بمقارعة المد الأجنبي الذي دهم المغرب الإسلامي"[3]، وهو ما تطعمه النازلة التي وردت على ابن رشد عمّن لم يحج من أهل الأندلس في هذا الوقت (ق 9-10هـ/15-16م): هل الحج أفضل له أو الجهاد؟ فكان جوابه: "فرض الحج ساقط في زماننا هذا عن الأندلس لعدم الاستطاعة... فبان أن الجهاد الذي لا تحصى فضائله أفضل وهو أبين مِن أن يُسأل عنه"[4].

---

1 - ابن مريم: المصدر السابق، ص 148.

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1/27-28.

3- القلصادي: المصدر السابق، ص 66-67.

4- أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج: محمد حجي وآخرون، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981، ج1/432.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وفتواه لهذه النازلة لم تقتصر على الأندلسيين وفقط بل أفتى أيضا لغير أهل الأندلس من العدوتين فقال: "وأما غير أهل الأندلس كالعدوتين، فإن خافوا على أنفسهم وأموالهم فهم كالأولين، وإن لم يخافوا فالجهاد عندي لهم أفضل من تعجيل الحج..."[1]، وورد عن ابن طلحة: "ولقد لقيت في بلاد المغرب وأنا قاصد الحج ما اعتقدت معه أن الحج ساقط عن أهل المغرب بل حرام؛ لِمَا يركبونه من المخاطرات"[2].

أما بخصوص الإجازة، فقد تطور استخدامها في العصور المتأخرة[3] حتى أصبحت لا تعني التأهيل في العلوم لتساهل المجيزين في منحها، لأنه لم يعد هناك تحقق في المجازين في كفاءتهم ودرايتهم بالعلوم ولا من أخلاقهم وسلوكهم، كما أنها لم تعد تُقيد بالقراءة والمشافهة أو حتى بالجزء المقروء من الكتاب، وأصبحت تعطى مطلقة في كل العلوم وكل الكتب التي تعلّمها المجيز سواء قرأها المجاز أم لا [4]؛ فمنحوها لكل من يعرفون ومن لا يعرفون، ما ولّد المجاملات في الإجازة[5]؛ والتي كانت موفقة في القضاء على كل قيمة لهذه الشهادة وأجهزت عليها تماما[6].

لذا ما يؤسف له أن الإجازة فقدت أهميتها في أواخر القرن 9هـ/15م والعهد الذي يليه، ومردّ ذلك إلى انقطاع الرحلة العلمية واكتفاء الطلبة بطلب الإجازة عن طريق المكاتبة والاستدعاء لا بزيارة العلماء والأساتذة وملازمتهم والإصغاء[7]، ما أدّى إلى قرب انقطاع السند بالمغرب بسبب اختلال العمران وتناقصه ما دام أن العلم من جملة الصنائع فيكثر حيث يكثر العمران والحضارة[8].

خاتمة: سجلت المدونات التراثية حرص علماء المغرب الأوسط في الرحلة نحو المشرق لدواعي عدّة، وكان أبرز مقصد للنخبة هو تحصيل المعارف والاستزادة من مختلف العلوم المتداولة، وكذا نيل الإجازة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وضمان مكانة في سلسلة السند بمختلف مستوياته، فمدّت العلاقة الجامعة بين ثلاثية: الرحلة والإجازة والإسناد جسور التواصل الحضاري بين

1- الونشريسي: المصدر السابق، ج 1/432-433.
2- المصدر السابق، ج 433/1.
3- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ط1، ص 18-19.
4- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج40/2.
5- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 40/2.
6- خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس -أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية-، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994، ط2، ص 123.
7- محمد بوشقيف: المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط، ص 61.
8- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 402.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المشرق والمغرب الإسلاميين، وحفّزت النخبة لخوض غمار الاستزادة والاطلاع على ما للآخر من ثقافة وعلوم وخصائص تختلف من مجال لآخر، وهذا ما أثبتته المدونات التاريخية من كتب التراجم والرحلة والبرامج حول علماء المغرب الأوسط خلال القرن (7-9هـ/13-15م) الذي تحصلوا على إجازات من مختلف علماء الأمصار وقدّموها لغيرهم، كما أكّدوا على اعتزازهم بحصولهم على مكانة ضمن سلاسل الإسناد في عديد الروايات والمصنفات.

ولعل الإمام عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1470م) ممن بلغوا هذا المقصد، ونال إجازات عدّة، وضمن لنفسه مكانة ضمن الأسانيد العالية في بعض الأحاديث المتصلة مع النبي صلى الله عليه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد الحمودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.
- البجائي، أبو عصيدة: رسالة الغريب إلى الحبيب، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
- الثعالبي، عبد الرحمن: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2005.
- ابن حزم، أبو محمد علي الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 4ج، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجيل، بيروت، 1996.
- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008.
- السخاوي، شمس الدين محمد: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12ج، ط2، دار الجيل، بيروت، 1992.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1998.
- ابن مرزوق، محمد التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، 5ج، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983.
- القلصادي، أبو الحسن علي الأندلسي: رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق: فهرس ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الغبريني، أبو العباس أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.
- ابن مريم، المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج: محمد حجي وآخرون، 12ج، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

2- المراجع باللغة العربية

- إسكندر، محمد المختار: المفسرون الجزائريون عبر القرون من ق2هـ إلى ق14هـ، 2ج، السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي، الجزائر، د.ت.
- الترغي، عبد الله: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (تطوان)، جامعة عبد الملك السعدي، ط1، 1999.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- ريبيرا، خوليان: التربية الإسلامية في الأندلس -أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية-، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994.
- سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، 4ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- سعد الله، أبو القاسم: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- سيدي موسى، محمد الشريف: مدينة بجاية الناصرية – دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية -، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- قسوم، عبد الرزاق: عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- محمد عادل، عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب- أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.
- مزهر، عبد الغني: الأصول العامة لمناهج المحدثين، ط1، منشورات جامعة الملك سعود، السعودية، 1996.
- بن مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930.

3- المقالات:

- بنعيسى، أحمد بويوزان: "فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من ق 5 – 9هـ"، ندوة مكة المكرمة، السعودية، 2005.
- بوشقيف، محمد: المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، دورية كان التاريخية، ع11، د.م، 2011.
- التليدي، محمد بن عبد الله: "اختيارات وآراء المغاربة في علوم الحديث النبوي ومصطلحه"، مجلة دعوة الحق، المغرب، ع285، 1991، ص 50 – 100.
- شقرون، الجيلالي: تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، د.ع، د.ت.
- المسلوتي، مصطفى: "الإجازات العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب"، مجلة دار الحديث الحسينية، ع7، الرباط، 1989، ص 238 – 252.
- الوافي، ابراهيم أحمد: "التفسير وعلوم القرآن بالغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري "، ضمن كتاب الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، لمجموعة باحثين، تقديم: عبد الله بن علي الزيدان، ق5، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، السعودية، 1996.

4- المذكرات والأطاريح:

- بوشقيف، محمد: تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال ق 8-9هـ/14-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، قسم التاريخ، 2011.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد1 (ماي) 1444هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- بوحسون، عبد القادر: "العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/ 1235-1554م)"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2008.
- زكري، لامعة: "الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2010.
- شقدان، بسام كامل عبد الرزاق: "تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)"، مذكرة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، الأردن، 2002.
- المشهداني، علياء هاشم: "فقهاء المالكية -دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف ق 6هـ/ 12م-"، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، 2003.
- هاشمي، مريم: "العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال ق 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011.